

فرید .. فتنا لا یتکرر ..



بقلم : محمد الموجی

obeikandi.com

كان هو المذبايع الوحيد في قريتنا !
إنه المذبايع الذى يملكه ناظر الزراعة في قرية « دمرو » مركز المحلة الكبرى ..
وهي القرية التي ولدت فيها .. وشببت بين حقولها .. وعرفت الغناء والموسيقى من خلال
الراديو الوحيد فيها .

وفي إحدى المرات ، وكان عمري حوالى الثالثة عشرة .. التقطت أذناى أغنية من
مذبايع ناظر الزراعة .. كانت هي الأغنية التي عرفتنى بفريد الأطرش لأول مرة .
إنها الأغنية التي يقول فيها ..

كرهت حبك .. من كتر صدك .. وكرهت فيكى كتر الدلال ..
على ايه أحبك .. والا أودك .. مش عايز اشوفك ولا في الخيال .
كانت تلك الأغنية من تلحين الموسيقار مدحت عاصم .. وكما هي العادة مع
معظم أغاني فريد الأطرش .. فإننى أحببتها وحفظتها ورددتها من أول مرة !
ومن يومها بدأت علاقتى بفريد الأطرش !

وبالإضافة إلى الغناء والموسيقى .. كانت هناك روابط إضافية تجمعنى ، وأنا الصبي
الصغير بالموسيقار والمطرب المشهور فريد الأطرش .

كنت أهوى الرسم ... إلى جانب الغناء والموسيقى .. وكان فريد وقتها موضوعاً جذاباً
ومغنياً للرسامين الصحفيين .. وخصوصاً رسامى الكاريكاتير .. إننى أذكر هنا بالذات

مجلة البعكوكة التي كانت شعبية ومشهورة وقتها .

وكلما رسمت المجلة صورة فريد الأطرش على غلافها .. كنت أجد نفسي وأنا أحاول تقليد تلك الرسوم لشخصية أحبا .. ضاعطاً في كل مرة على السمات المميزة لفريد الأطرش .. بوجهه المستطيل وحواجه الكثيفة وتسريحته وتعبير الحزن البسيط والدائم .

ولم يكن الحزن سمة شخصية فقط بالنسبة لفريد .. ولكنه كان سمة فنية أيضاً . كان الحزن في صوته يخاطب شيئاً دفيناً في داخلي . لقد كنت منعزلاً وانطوائياً بطبيعتي وكنت أحس أن هناك نوعاً من العشرة بيني وبين صوت فريد الأطرش . وحتى حينما كان فريد يلحن لغيره .. كنا نجد بصماته واضحة في اللحن والغناء أيضاً وأوضح مثل ذلك المرحومة أسمهان ، عل اللحن والغناء أيضاً . وإن أبرز مثل تعبه ذاكرتي لذلك الآن هو أغنية رجعت لك يا حبيبي بعد الغياب ... وهي التي كانت تغنيها أسمهان من ألحان فريد .. في تلك الأغنية .. ما زلت حتى الآن أسمع بوضوح عزف فريد على العود .. وغناؤه مع الكورس .. بالإضافة إلى صوت أسمهان نفسها .. وكان فريد .. إلى جانب كونه ملحنًا ومطرباً .. أكثر من ساحر في عزفه .. لقد كان له تكتيكه الخاص في العزف على العود .. وكان له مستواه الخاص في الإتقان .. من حيث إن فرقة موسيقية كاملة كان يمكن أن تضبط نفسها على عوده . إنني أؤكد أن صورة فريد في عزفه .. قد شدتني تماماً في البداية .. بحيث إنني كنت أتدرب على العزف على العود .. وصورة فريد في مخيلتي دائماً . ومن وقتها وفريد الفنان يفرض نفسه على دائماً ..

فعندما انتقلت بعد ذلك إلى مدرسة الزراعة بالمحلة الكبرى .. اختارني مدرس التربية الزراعية .. وكان اسمه « أبو الوفا » لكي أشارك بالغناء في أول حفل سمر يقيمه فريق الكشفية بالمدرسة .. وبمجرد أن صعدت إلى المسرح .. وجدتني أغني تلقائياً

أغنية « عشك يا بلبل »

وعندما تخرجت وعملت ناظراً للزراعة .. كانت أول سهرة لى هى مع أغنية « باللاسوا .. » فبمجرد أن بدأت سهرتنا كأصدقاء .. دخل علينا صديق ليرف لنا آخر الأنباء .. إن فريداً أذاع أغنية جديدة اسمها باللاسوا .. وبمجرد أن بدا الصديق يردد الأغنية .. ظللنا نردها معه جميعاً طوال السهرة ..

هكذا بدأت علاقتى بفريد الأطرش كمستمع .. أما علاقتى به كفتان .. فلم تبدأ مبكراً .. فسنوات طويلة كانت قد مضت على اشتغالى بالفن .. قبل أن أعرف أول رأى لفريد الأطرش فيما أفعله . كانت قد أذيعت لى فعلا ألحان قدر لها أن تنجح وتحظى بقدر لا بأس به من الشهرة .. ومنها أغنية صافينى مرة .. وبتقوللى بكرة .. اللتين غناها المطرب عبد الحليم حافظ .

وحدث فى تلك الفترة التى كانت هى مطلع الخمسينات أن سألت إحدى المجلات الفنية بعض الملحنين عن الموجة الجديدة التى بدأها كمال الطويل وأنا . وأذكر أن الأستاذ أحمد صدق علق على السؤال قائلاً : دول ناس باين عليهم زى ما يكونوا جاين من الصعيد الجوانى .

وقال الأستاذ محمود الشريف : يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم .. أما الأستاذ فريد الأطرش فقد أجاب بقوله .. لا أستطيع أن أقول رأى فى كمال الطويل ومحمد الموجى الآن ... لا بد أن يستمر فى العمل بهذا المستوى على الأقل عشر سنوات .. حتى نستطيع أن نحكم هل يمثل نجاحهما خبطة حظ .. أو يمثل طفرة فنية ..

كانت تعليقات الجميع صعبة .. ولكن تعليق الأستاذ فريد الأطرش كان أكثرها حناناً .. بل أكثرها إنعاشاً لحماسنا .. كمال الطويل .. وأنا ..

لقد كان فريداً كبيراً دائماً .. طيب القلب دائماً .. في داخله قدر كبير من حب المنافسة .. وليس في داخله ذرة واحدة من الغيرة !

إنني أذكر أول مرة دخلت فيها بيت فريد الأطرش .. وكان قد دعاني هو - مع عدد كبير من أصدقائه وعلى رأسهم الأستاذ محمد عبد الوهاب .

وبرغم أننا في الجزء الأول من السهرة كنا مندمجين في سماع أغنية « أسمع .. أسمع .. أسمع لك » .. وهي التي كانت تمثل وقتها أحدث أغنيات فريد الأطرش .. فإن زوجتي - أم أمين - كانت مبهورة تماماً بوجود الأستاذ محمد عبد الوهاب .

وبينما كنا نحن مندمجين مع أغنية فريد .. كانت « أم أمين » تتحدث مع الأستاذ عبد الوهاب عن أغانيه التي تعشقها منذ الصغر .

ولكن فريداً كان يأخذ الأمر ببساطة ودعابة وفكاهة .. قائلاً لأم أمين : طبعاً يا ست .. أنا حاروج فين جنب عبد الوهاب .. ناس لها بخت وناس مالهش ..

وفي تلك الليلة عرفت من فريد الأطرش وعنه .. ما أثبتت لي الأيام بعد ذلك صدقة بدرجة مذهلة ، فبعد أن انتهت السهرة وبدأ جميع الأصدقاء الذين تتكون منهم شلة فريد الدائمة نحاني فريداً جانباً ونحى من على وجهه تعبير المرح الكامل الذي كان مرتسماً طوال السهرة .. وقال لي في جدية وحزن يقترب من الكآبة :

تعرف يا موجي .. ؟ أهو دلوقت كل دول يخرجوا يتريقوا على .. !

وكانت هذه الملاحظة صحيحة بدرجة مدهشة .. ولكن كان يخفف منها أن فريداً نفسه أول من يعرف ذلك عن معظم الذين كانوا يعتبرون أنفسهم من أصدقائه .

وبرغم أنني كنت معجباً بفن فريد الأطرش منذ بدايتي المبكرة .. فإن الفن .. أو العلاقة الشخصية لم تجمعنا بين فترات متباعدة كنت أبادر أنا فيها إلى التعبير عن مشاعري الدائمة نحو فريد الأطرش .. الذي كان يحقق لنفسه - ولنا - صورة مشرفة كفنانيين . ربما من أجل هذا كنت قد رشحت نفسي مرة في سنة ١٩٦٤ أو ١٩٦٥ -

لا أذكر على وجه الدقة - لمنصب رئيس جمعية المؤلفين والملحنين ولكن بمجرد أن علمت أن الأستاذ فريد الأطرش ينوى أن يرشح نفسه .. ذهبت إلى الجمعية وأعلنت تنازلي على الفور .

وربما من أجل هذا أيضاً كان فريد برغم تلاقينا المتباعد يعرف على وجه التأكيد .. وبصفة دائمة .. مشاعري نحوه .

ولقد حدث في إحدى المرات التي كنت فيها في لبنان أن فوجئت ذات صباح بمجلة لبنانية تبرز خبراً يعبر عن نشاطي الجديد .. وبأن على رأس هذا النشاط أن فريد الأطرش سوف يغني من ألحاني .. بعد أن بدأت فعلاً في إعداد لحن جديد لفريد . لم يكن للخبر أى أساس من الصحة طبعاً .. ومع ذلك فإنني فضلت في تلك المرة أن أستنكر الخبر لفريد الأطرش بنفسى .

لقد طلبته في التليفون وسألته عما إذا كان قد قرأ الخبر ؟ .. فأجابني بالنفي . وبمجرد أن شرحت له ما حدث .. وقبل أن أعلن له أنه لا أساس للخبر على الإطلاق فوجئت بفريد يقاطعني ضاحكاً وهو يقول .. يا ريت .. والله يا محمد حياة أُمى أقولها لك من كل قلبي يا ريت وأنا مستعد أغني من ألحانك فوراً . كان فريد فناناً بسيطاً وكان فريد أيضاً إنساناً بسيطاً ..

فقبل وفاته بأشهر قليلة كان أحد المنتجين السينمائيين قد استدعاني إلى بيروت للالتقاء من تلحين أغنية للفنانة صباح .. ولأن الانتهاء من تنفيذ اللحن لا يستغرق في العادة أكثر من أسبوع .. فقد اتفق المنتج مع الفندق فعلاً على تغطية مصروفاتي لمدة أسبوع . ولكنني لسبب أو لآخر لا شأن لي به .. ، امتدت مدة تنفيذ وتسجيل الأغنية إلى خمسة عشر يوماً ..

وفوجئت صباح يوم سفرى بمصروفات إضافية ضخمة يجب أن أدفعها . وتحيرت ماذا أفعل .. فلم يكن قد بقي معي ولا ليرة واحدة .

ووجدت نفسى أرفع سماعه التليفون وأطلب فريد الأطرش .
 إنتى لم أفكر فى أن أطلب المنتج .. ولا حتى فى أن أطلب الفنانة صباح .. ولكننى
 بدلا من ذلك وجدت نفسى أطلب فريد .. وأقص عليه ما حدث .
 وفى خلال عشر دقائق كان فريد قد أرسل إلى سكرتيرته حاملة إلى مبلغاً هو ضعف
 المبلغ الذى يجب على أن أدفعه .

وعدت إلى القاهرة عارضاً على فريد رد المبلغ فى أول مرة رأيته فيها .. ولكنه رفض
 بإصرار وبعد وفاته اخبرت المحيطين بفريد الأطرش بالقصة وبرغبى فى تسديد المبلغ
 ولكنهم رفضوا أيضاً قائلين : ما دامت تلك رغبة فريد فهى رغبتنا أيضاً ..
 وفى مرة أخرى تكررت نفس القصة ولكن مع فرقة موسيقية بأكملها ..
 كانت الفرقة الماسية سحى بعض الحفلات فى « دى » وفى طريق عودة أعضاء
 الفرقة وكان عددهم حوالى الثلاثين من دى إلى القاهرة توقفت بهم الطائرة فى بيروت
 وأصبح عليهم أن يستقلوا طائرة أخرى من بيروت إلى القاهرة .
 وكانت أول طائرة إلى القاهرة هى فى اليوم التالى ..

واحتار أفراد الفرقة .. ووقعوا فى مشكلة .. لأنهم لم يكونوا يحتفظون بأية نقود فى
 عودتهم وأصبح عليهم فجأة أن يقضوا فى بيروت ليلة على نفقتهم الخاصة .
 وتجمع أفراد الفرقة فى فندق بريستول ليتدبروا ماذا يفعلون . وبينما هم يتشاورون إذا
 بفريد الأطرش يراهم صدفة فى أثناء خروجه من الفندق وبمجرد أن علم بالمشكلة أصر
 على أن يتزل الجميع فى فندق بريستول على نفقته الخاصة .
 وفى تلك الليلة نفسها .. فوجئ أعضاء الفرقة أيضاً بأن فريد قد أعد لهم مأدبة
 ضخمة . تكفى لمائة فرد لا لثلاثين فى مطعم اليلد زلار المشهور .
 كان هذا هو فريد الإنسان ..

وكان فريد الفنان هو بنفس القدر من البساطة والوضوح ..

لقد وجدت نفسي في مطلع حياتي متأثراً للغاية بفريد الأطرش .. إلى درجة أنني بعدوى حزنه على وفاة أخته المرحومة أسسمهان أتمنى لو كنت أنا قد لحنت لها ...
وفريد الأطرش بدأ حياته الفنية بالعمل مع بديعة مصابني .. وشاءت الصدفة بعد ذلك أن أبدأ أنا الآخر حياتي الفنية بالعمل مع صفية حلمي .. وهي التي كانت التلميذة الأولى لبديعة مصابني .

وعندما بدأت أحصل على أول أجر لي في كازينو كوبانا الذي كانت تملكه صفية حلمي .. كان الأجر هو مجرد عشرة قروش في الليلة ولكن الأمر كله هان على لأن فريداً بدأ حياته عند بديعة بأجر أقل من ذلك الذي أبدأ به أنا عند صفية في سنة ١٩٤٩ .

إن الفنان لا بد أن يعطى أولاً ويعطى الكثير - قبل أن يأخذ .
والفنان لا بد أن يعيش الحياة في أكثر نقطها انخفاضاً .. قبل أن يجرب الحياة بعد ذلك .. عند أكثر نقطها ارتفاعاً ..

والفنان لا يمكن أن يكون أبداً « خلفه شيطاني » إن جذوره يجب أن تمتد في الأرض فإذا أراد لفنه بعد ذلك أن يعبر عن الناس فلا بد أولاً أن يخرج من الناس .. ولقد استطاع فريد أن يخرج من الناس لكي يعبر بعد ذلك عنهم .. بل إنني أعتقد أن فريداً لم يحصل في حياته على فرصته الكاملة في التعبير عن الناس .. ولو تحققت تلك الفرصة في حياته لكانت النتيجة بعد ذلك مدهشة .

ذلك لأن فريداً الأطرش كان أحسن من يصلح للمسرح الغنائي .
إنني شخصياً أعتقد أن الكازينو الذي أقامه فريد الأطرش في بيروت وانتقده في ذلك كثير من .. كان المقصود به أن يكون مسرحاً استعراضياً .. ولكنه أخطأ الطريق في نقطة ما .. بحيث استقر عند كونه مجرد ملهى ليلي .
لقد كان فريد بطبيعته فناناً مسرحياً ..

إنه مبدئياً يعتبر واحداً من أحسن الذين قدموا ألحاناً استعراضية للمسرح الغنائي ..
 إن دليلي الواضح في ذلك هو ألحانه الاستعراضية التي قدمها في أفلامه السينائية ، ولو
 ضربت مثلاً واحداً على ذلك فسوف اختار استعراض « بساط الريح » .. الذي لا
 يتجاوز مدته ربع الساعة أو ربما عشر دقائق. في تلك الدقائق العشر جمع فريد
 كل فنون المنطقة العربية تقريباً .

إن هذا الاستعراض نفسه يحمل بذرة المسرحية الاستعراضية الغنائية الكاملة ..
 وبالإضافة إلى ذلك فإن فريد كان يملك « النفس الطويل » الذي يعتبر شرطاً جوهرياً
 للنجاح في المسرح الغنائي إنه كان من الفنانين القلائل الذين يستطيعون الغناء على المسرح
 ساعتين وأحياناً ثلاث ساعات متواصلة .

كان فريد يمتلك النفس الطويل مسرحياً ... وكان يمتلك الحضور المسرحي .. والجرأة
 الضرورية لكل فنان يواجه الجمهور من فوق مسرح ... وكان يمتلك حتى « الوقفة
 المسرحية » إن من يلاحظ الاستعراضات الغنائية التي قدمها فريد في السينما يلاحظ مدى
 قدرته على إقناع المتفرج بأنه يغني من فوق مسرح محتشد بالجمهور .. وليس من
 داخل بلاتوه يخلو تماماً من الجمهور ..

إن من يرى كل هذا ويجمعه معاً .. يحصل في النهاية على نموذج كامل لفنان اختار
 منذ مولده أن يكون فناناً مسرحياً ... ومع ذلك فإن هذا لم يحدث في حالة فريد الأطرش
 بغير سبب واحد مفهوم ندرية أو نعلمه .

وكان فريد نموذجاً فريداً حقاً للفنان الذي يعطيه فنه قوة إضافية مذهشة .. إن
 فريداً المطرب والملاحن استطاع أن يهز فاروق الملك والسلطان بأغنية واحدة اسمها نورا
 نورا .. يا نورا . وإلى جانب أن هذه كانت غالباً ميزة مضافة وكبيرة في فن فريد الأطرش
 فإنها كانت في بعض الأحيان ميزة مخصصة منه .

فلقد ترتب على اندماج فريد العاطفي في فنه حتى النهاية . . أن أضنى على أغانيه

طابعا حزينا مميزا .

لقد كان هذا أمراً غريباً ومحيراً في الوقت نفسه . ففريد ، كفنان وإنسان كان يتذكر ماضيه بحب .. وفي الوقت نفسه كان يعيش حاضره بابتهاج ومرح وتفاؤل وحب ، ولكن عندما كان الأمر يصل إلى المستقبل فإن هذا الإنسان البسيط المرح . . كان يتحول إلى إنسان آخر يخلو من البساطة أو التفاؤل والمرح .

ما هو السبب بالضبط ؟

لا أعرف .

إن فريد الأطرش الفنان كان متميزاً من نواح كثيرة على المستوى الإنساني .. وعلى المستوى الفني فإنني أعتقد أن قيمة فريد كمطرب تأتي في الدرجة الأولى قبل قيمته كملحن .

لقد كان صوت فريد الأطرش بارزاً ومتميزاً في الغناء العربي خلال كل العصر الذي عاشه هو وعشناه نحن معه . إن فريد كان واحداً من أربعة غنوا بالموهبة نفسها . . أربعة أعتقد أنا أنهم أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب وفريد الأطرش وعبد الحليم حافظ . إنني أعتقد أن فريداً كان يرى موهبته الصوتية من الزاوية التي أراها أنا بها هنا .. بدليل أنه لم يمانع أبداً بلى رجب في كثير من الأحيان بأن يغني بصوته من ألحان غيره ... ولو كان هذا قد حدث فأعتقد أن الملحنين الآخرين كانوا سيرزون جوانب أخرى ممتعة في صوت فريد الأطرش قد لا يكون هو قد تنبه لها .. أو ربما يكون التفسير موجوداً بشكل آخر .. فربما لم يجد فريد مثلاً من يستثمر صوته أحسن منه .. فقرر أن يركز على استثماره ..

ولكن حتى مع وجود هذا التفسير فإنني ما زلت أكرر اعتقادي بأن استسلام فريد المطرب لفريد الملحن لفريد الإنسان .. جعل معظم أغانيه تخرج في النهاية حزينة بالشكل الذي لسانه جميعاً ، وحتى في الحالات القليلة التي كان فريد يؤدي فيها ألحاناً

هى بطبيعتها تعبير عن مواقف مرحة وموسيقى مرحة فإنه كان يؤديها أيضا بصوت فيه من الحزن الدفين قدر كبير .

إن أقرب مثل أتذكره لذلك هو أغنية « دقوا المزاير باللا . . » في تلك الأغنية لا يستطيع إنسان أن ينقل الحزن المكتوم في صوت فريد حتى في موقف غير حزين .

هل كان السبب هو وجود شرخ عاطفي عميق في نفس فريد الأطرش ؟

هل كان السبب هو حزنه العميق على وفاة أخته أسمهان ؟

هل كان السبب هو إحساسه بأن كل العواطف التي يراها امامه وحواس مزيفة وكاذبة ؟

إن فريداً الأطرش كان فناناً صادقاً .. وإنساناً صادقاً .. وسط إطار يخلو منه الصدق تماماً ، بل يملؤه الكذب تماماً .

إنني لم أر إنساناً طيباً ومخلصاً وصادقاً في مشاعره بمثل ما رأيت فريداً الأطرش ..

كان فريد صادقاً للغاية حتى في الطريقة التي يصافح بها أو يقبل بها صديقاً له ..

إن اليد الممتدة .. والكلمة المرحبة والابتسامة الصافية .. كلها تؤكد أن صاحبها لا يفتعل شيئاً ليس فيه . . ولا يرتدى قناعاً على عواطف يخلو منها . . ولا يرسم على وجهه ترحيماً

لا يحس هو به .

ربما من أجل هذا لم يكن فريد الأطرش ناجحاً كممثل . إن التمثيل لم يكن من

طبعه .. وبالإضافة إلى ذلك فإن التمثيل كان يتنافى أصلاً مع طبيعة شخصيته .

والذين شاهدوا أفلام فريد الأطرش ، وهى عموماً كانت أفلاماً ناجحة جداً من

الناحية التجارية ، فإنه كان يشاهدها سعيًا وراء صوت وموسيقى فريد الأطرش ، وليس

سعيًا وراء تمثيله .. بل إنني أقول .. بالرغم من تمثيله !

ولم يكن فريد وحده في ذلك .. محمد عبد الوهاب نفسه حدث له التجربة

نفسها في السينما . أنا أيضاً حاولت مرة أو مرتين . ولكن فريداً استمر في السينما مدة

أطول لأن الممارسة تؤدي إلى مزيد من الممارسة .

ومع كل فيلم جديد لفريد .. كان الإنسان يحس أن النجاح هو أولاً نجاح فنى قبل أن يكون نجاحاً تمثيلاً .. وكان يشفع لفريد فى ذلك أن المتفرج كان يحس فى كل مرة أنه أمام فنان حقيقى وصادق « تورط » فى أن يكون ممثلاً .. أو أصبح ممثلاً بحكم الضرورة ، وليس بحكم الهواية والقدرة !

لقد طغى صوت فريد الأطرش وموسيقاه على أى جانب آخر فى فنه . وليس صدفة أبداً أن تظل أغنية « الربيع » هى الأغنية الأولى المعبرة فعلاً عن الربيع طوال أكثر من خمس وعشرين سنة ! فى تلك الأغنية يستطيع الإنسان أن يشم فعلاً رائحة الورد والنسيم والربيع منذ أول دقيقة ! لقد اعتدنا جميعاً أن يكون هذا اللحن هو أول جزء أساسى من استقبالنا للربيع فى كل سنة . وطوال تلك الفترة ، وهى طويلة فعلاً ، لم يستطع أى فنان آخر أن يقدم بديلاً يتفوق على تلك الأغنية . أو يقترب من تأثيرها .

إن ما سوف يبقى من فريد الفنان هو الشيء الكثير جداً . يكفى . سرب هنا نماذج بأبرز الأعمال الغنائية التى قدمها لنا على امتداد سنوات طويلة .. وعلى رأسها مثلاً : حبيب العمر .. أول همسة .. الربيع .. حكاية غرامى .. إلخ .

إن فريد الأطرش يمكن تلخيص حكايته كلها فى أغنية واحدة منها هى أغنية أغنية « حكاية غرامى » .. لأنها كانت تمثل فعلاً حكايته الشخصية . إنها لم تمثل حكايته مع امرأة محددة . أو حالة واحدة . ولكنها مثلت حكايته مع كل امرأة .. ومع المرأة بصفة عامة .. بحيث كان يجب أن يسميها « حكاية حكايتى » مثلاً .. وليس « حكاية غرامى » !

ولقد أثر فريد الأطرش بموسيقاه فى كثيرين من الذين عاصروه .. بشكل أكبر جداً من تأثره هو بالذين عاصروه !

وكان فريد فى موسيقاه صورة صادقة لفريد فى عواطفه . وحتى فى الحالات التى كان فريد يلحن فيها لغيره .. فإنه لم يكن يبخل مطلقاً فى تدفق عواطفه هو على اللحن

الذى يقدمه . ذلك لأن فريداً كان رمزاً للفنان الذى يعمل من أجل الفن .. وليس من أجل دوافع أكثر عملية من ذلك !
إن أصدق صورة لذلك .. كانت هى صورة فريد حينما يعزف على عوده مع الفرقة الموسيقية فى أية أغنية يقدمها .

فن الناحية الشكلية كان الإنسان يحس أن فريداً حنون على الفرقة الموسيقية بأكملها .. وأنه يتعامل معها موسيقياً وفتياً باعتبارها جزءاً أساسياً منه ، وليس جزءاً خارجاً عنه .. هذا بالزعم من أن فريداً كانت له قيمته الخاصة ، وربما الكافية ، كعازف على العود .

وحيثما كان فريد يعزف على العود . فإنه كان نموذجاً للفنان من ناحية .. ونموذجاً للفنان الذى يعطى صورة مشرفة للموسيقى الشرقية من ناحية أخرى .
لقد كان فريد واحداً من أبرز الذين أحبوا الموسيقى الشرقية وحافظوا عليها .. وعملوا على تحقيق التطور من خلالها . إن مسألة الخروج بموسيقانا إلى العالم قد شغلته طبعاً .. ولكنه كان مؤمناً بأن خروجنا بالموسيقى إلى العالم لا يجب أن يكون على حساب تمسكنا بطابعنا الشرقى الخاص المتميز .. إنه كان يردد أننا لو خرجنا إلى العالم ، حتى ولو به « طقطوقة » .. أو أغنية صغيرة .. فإن هذا يصلح كبداية صادقة وناجحة .

وفريد الأطرش لم يكن أبداً ضد تطوير الموسيقى الشرقية . . وهو لم يكن أيضاً ضد إدخال بعض الآلات الغربية فى الموسيقى الشرقية .. ولكن المسألة كلها أنه كان يرى أننا لا بد أن نوظف الآلة الغربية فى موسيقانا بشكل يخدمنا نحن قبل أن يخدم الآلة نفسها .

ولقد كان فريد الأطرش نفسه أول من حقق ذلك على مستوى عظيم مشرف للفن والفنانين . والواقع أن فريداً الأطرش كان فناناً لا يتكرر .